الحذف في العطف عند السياب

ظاهر محسن

كلية التربية-جامعة بابل

الحذف : لغة" القطع والطرح : حذفت الشيء إذا قطعته

أمّا اصطلاحا" : فهو اسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل [١]

والحذف ظاهرة موجودة في اللغة العربية وقد تناولها النحويون واللغويون واشترطوا لهـا وجـود قرينة لفظية أو حالية أو عقلية تدلّ على الشيء المحذوف الذي استغنى المتكلم عن ذكره وهو يريده [٢] ففي قولهم :((إنها لإبلٌ أم شاء)) التقدير : أم هي شاء ، لأنّ أم المنقطعة لا تعطف إلاّ الجمل [٣]

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنّ الحذف ((بابٌ دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا" إذا لم تبن))[٤]

والحذف الذي نحن بصدده هو حذفٌ يتصل بموضوع (عطف النسق) نحو حذف حرف العطـف ، وحذف المعطوف عليه وحذف المعطوف . والحذف في (عطف النسق) ظاهرة منتشرة في شـعر السـياب وسنتناولها على النحو الآتي :

١. حذف حرف العطف :

ذكر ابن هشام أنّ حذف حرف العطف بابه الشعر ، نحو قول الحطيئة

إنّ امْرأً رهطه بالشّام منزلُه برَمْلِ يَبْرينَ جارا شد ما اغْتَرَبا

أي ومنزله برمل يبرين [٥] كما نقل ابن هشام روايات عن أبي زيد الأنصاري وأبي الحسن الأخفش تشير الى وجود حذف حرف العطف في النثر [٦]

أمّا حذف حرف العطف في شعر السياب فكثير يمكن عرضه على النحو الآتي :

أ – أن يكون المعطوف والمعطوف عليه مجرورين :

نحو : ضاحكاً من جراحات قلبي الحزين [٧]

من هواي المضاع

من قلوب الجياع

حين تهوى ومن ذلةِ الكادحين

أراد ضاحكاً من جراحات قلبي الحزين ومن هواي .. ومن قلوب الجياع ومن ذلـه الكـادحين فحـذف العاطف الأول والثاني وأبقى الثالث .

ونحو : مُحمد اليتيم أحرقوه فالمساء [٨]

يضيء من حريقه ، وفارت الدماء

من قدميه ، من يديه ، من عيونه

ونحو : القلب يعرفها بمشيتها بالظلّ بالأنفاس ، بالعطر [٩]

أي : القلب يعرفها بمشيتها وبظلها وبأنفاسها وبعطرها وجاءت (الباء) في هذا البيت بمعنى (من) التي تفيد السببية .

ب – أن يكون المعطوف والمعطوف عليه منصوبين :

نحو : لا تسمعي ما لفقوا ما يذاع [١٠]

ما زينوا ما خطّ ذاك اليراع

أراد لا تسمعي ما لفقوا وما يذاع وما زينوا وما خطّ ذاك اليراع

ونحو : فلتسق كلّ العراق [١١]

فلتسق فلاحيك ، عمالك

أراد فلتسق فلاحيك وعمالك

ونحو : فاسمع صلاة الرفاق [١٢]

ولترع فلاحيك، عمالك

أراد ولترع فلاحيك وعمالك

ونحو : أحسست أنّ السوط، أنّ الدماء [١٣]

أن الدجى أن الضحايا هباء

من أجل طفل ضاحكته السماء

ج – أن يكون المعطوف والمعطوف عليه مرفوعين .

نحو : يدعونني : (مالك ترتاب [١٤]

بالموت في هجعته

ما يعدل الدنيا وما فيها :

دفءُ ، نعاسٌ خدرٌ ، وارتخاء !)

أراد دفءُ فنعاسٌ فخدر وارتخاء والذي يسوغ وضع (الفاء) هنا هو أن هذه الصفات فيها معنى الترتيب والسببية فالدفء بسبب النعاس والنعاس بسبب الخدر والارتخاء .

ونحو : يشق إلينا غصون الهواء [١٥]

صياحُ ، بكاءٌ ، غناءٌ ، نداء

وفي هذا المقطع يمكن أن يكون العاطف (أو) لأنّ الصياح والغناء والبكاء والنداء كلها أصوات لا يمكن سماعها جملة واحدة أو يكون العاطف (الواو) فيكون الشاعر كالمصور الذي ينتقل من لقطة إلى أخرى وهو يصوّر هذه الأمور مجتمعة .

د – أن يكون المعطوف والمعطوف عليه فعلين :

نحو : سيهدم الذي بنى، يقوض [١٦]

أحجارها ثمّ يملُ الصمت والسكونا

أراد سيهدم الذي بنى ويقوض أحجارها

نحو : أكانت النساء والرجال مؤمنين [١٧]

بأنّ في السماء قوة تدبّر

تحسُ ، تسمع الشكاة ، تبصر

نزق ترحم الضّعاف ، تغفر الذنوب ؟

لا يخفى أن هذه القوة التي تدبّر وتحسّ وتسمع الشكاة وتبصر وترحم وتغفر هي الله سبحانه وتعالى وقد جاءت هذه الجمل الفعلية في محل رفع خبر (أنّ) لأنّ الخبر لا يتم إلاّ بهذه الصفات مجتمعة فجملة (تدبّر) وحدها لا تكون خبرا" لأنها لا تعطي تمام الفائدة إلاّ بتوالٍ أخبار أخرى .

ونحو : ونبحث عن يدٍ في الليل تطعمنا ، تغطّينا [١٨]

نشدُ عيوننا المتلفتات بزندها العاري

يقول ابن قيم الجوزية: ((إن الصفات إذا ذكرت في مقام التعداد فتارة يتوسط بينها حرف العطف لتغايرها في نفسها وللإيذان بأنّ المراد ذكر كل صفة بمفردها وتارة لا يتوسط العاطف لاتحاد موصوفها وتلازمها في نفسها ، وللإيذان في تلازمها كالصفة الواحدة))[١٩]

وتعدد الصفات بلا عاطف لم يكن واسعاً في العربية وإنْ ورد في القرآن الكريم [٢٠] وفي الشعر العربي ، نحوقول امرىء القيس :

بَرهْرَهَةٌ ، رؤدةُ ، رخصةُ كخرعوبة البانةِ المنفَطِرْ [٢١]

أمّا حذف حرف العطف في غير الصفات عند السياب فجاء بسبب تأثره بالثقافة الغربية فهذه ظاهرة منتشرة في الأدب الغربي المترجم ولا سيما الشعر[٢٢]. فالسياب ((درسَ الأدب الإنكليزي وتعشق أدب الكثير من أعلامه وشعرائه فتداخل في شعره الوجه الغربي بالوجه الشرقي))[٢٣]

٢. حذف المعطوف عليه :

قال ابن هشام: ((ويجوز حذف المعطوف عليه بالواو والفاء فالأول كقول بعضهم : وبنك وأهلاً وسهلاً ، جواباً لمن قال له مرحباً والتقدير : ومرحباً بك وأهلاً))[٢٤]

وقد ورد حذف المعطوف عليه في شعر السياب

نحو : لو تبصر المرآة لمحة مقلتيها – لو تراها[٢]

لمح النيازك – ثُم تغرق من جديد في عماها

برق ويطفأ ... ثُمّ تحكم فرقها بيدٍ وفاها

في هذا المقطع معطوفان عليهما محذوفان الأول: ((برق ويطفأ)) وأراد الشاعر أنْ يقول برقٌ يلوح ويطفأ فالمعطوف عليه الفعل ((يلوح)) المحذوف أو ما بمعناه .

والآخر : ((.. ثُمّ تحكم فرقها بيدٍ وفاها)) إذ أراد الشاعر أن يقول : برق يلوح ويطفأ فترى وجهها ثُمّ تحكم فرقها بيدٍ وفاها ، فالمعطوف عليه الفعل (ترى) المحذوف .

ومن اللافت للنظر أنّ في هذا المقطع خروجاً على قواعد النحاة في قوله ((ثم تحكم فرقها بيدٍ وفاها)) والصحيح أن يقول : ثُمّ يحكم فرقها بيدٍ وفمٍ أو بيدها وفيها .

والذي جعل السياب يذهب هذا المذهب من الكلام هو أن كلمة (أباها) جاءت على وزنٍ واحدٍ وقافية واحدة مع كلمتي (تراها) و (عماها) فجاءت أشد وقعاً وأكثر ايحاءً، وربما تأثر بقول الشاعر :

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها [٢٦]

ونحو : رغم الخليج المدوي تحت رغوته[٢٧]

أكاد ألثم خدّيها وأجمعها

في ساعديَ ...

كأني أقرع البابا

فتفتحين ...

وتُخفي ظلنا السُتُرُ

تذهب بشاعرنا الأحلام فكأنه يقرع الباب على أهله فتفتح زوجه الباب ويدخل إلى البيت وتخفي ظليهما السُتُرُ وفي هذا كناية عن شيءٍ فالواو عطفت الفعل ((تخفي)) على فعل محذوف مفهوم من السياق وتقدير الكلام : فتفتحين الباب وأدخل في البيت وتخفي ظلنا السُتُرُ

ونحو : أشهرٌ ويريحني موتٌ فأنساها[٢٨]

أراد الشاعر أن يقول : أشهر تمرُ أو تنتهي ويريحني موتُ فأنساها

ونحو : ويداه تلتمسان ثُمَّ يدي وتحتضنان خدي[٢٩]

فأرى ابتدائي في انتهائي

هناك احتمالان لتخريج ((ثُمَّ)) في هذا البيت .

الأول : انها حرف زائد وقد ذهب الأخفش والكوفيون إلى أنَّ ((ثمَّ)) تقع زائدة فلا تكون عاطفة[٣٠] وحملوا على ذلك قول زهير[٣١]

آراني إذا أصبحتُ أصبحتُ ذا هوىً فثُم إذا أمْسيتُ أمْسيتُ غاديا

والآخر : انها حرف عطف عطفت (يدي) على محذوف والتقدير: ((ويداه تلتمسان وجهي أو رأسي ثُمَّ يدي وتحتضنان خدي)) وهذا ما نرجحه لأنَّ حذف المعطوف عليه وأردٌ في اللغة العربية وعند أغلب النحاة وإنْ قيده بعضهم [٣٢] بحرفي (الواو) و (الفاء)

ومن ذلك : ((محمود ، تأخرت يا أبا محمود [٣٣]

نادِ محمود :))

ثُم يوفي على الجمع بمنديل عرسه المعقود

أي : نادِ محمود فناداه ثُمَّ جاء يوفي ...)) فهنا حذفان حذف المعطوف عليه والمقدر بـ (الفعل ناداه) وحذف المعطوف والمقدر بالفعل (جاء) وهذا النوع من الحذف موجودٌ في الشعر إذْ هو مظهرٌ من مظاهر ايجاز لغة الشعر لأن لغة الشعر تكون موحية موجزة .

ونحو : فارتضى الطفلُ لا حنان ولكن

يفعل الخوفُ مثلَ فعل الحنان [٣٤]

المحذوف في هذا البيت المعطوف عليه وتقديره (خوفاً) فيكون الكلام: (فارتضى الطفل خوفاً لا حناناً ...) والقرينة عجز البيت (يفعل الخوفُ مثلُ فعل الحنان).

قال الاشموني: (إنه قد يحذف المعطوف عليه بـ (لا) نحو ((أعطيتك لا لتظلم) أي لتعدل لا لتظلم) [٣٥]

ونحو : وتمتد يمناك نحو الكتاب كمن ينشد السلوة الضائعة [٣٦]

فتبكي مع العبقري المريض وقد خاطب النجمة الساطعة

يخاطب السياب في هذين البيتين نفسه فيقول : تمتد يداك نحو الكتاب كالذي يطلب سلوةً قد افتقدها لأنها غابت عنه طويلاً فتفتح الكتاب وتقرأ قصة الشاعر الغربي المريض فتبكي معه وهو يخاطب النجمة الساطعة . فالمعطوف عليه محذوف تقديره (تقرأ) فيكون الكلام: ((تمتد يداك فتقرأ الكتاب فتبكي مع العبقري المريض .

ونحو : كلما ألهبَ الدجى حزن بغداد فغصت بدمعها النضاح [٣٧]

فالفاء في هذا البيت ليست رابطة لجواب الشرط وإنّما عاطفة على محذوف يقدر بالفعل (بكت) أي : كلما ألهبَ الدجى حزن بغداد بكت فغصت بدمعها النضاح.

وحذف المعطوف عليه في (الفاء) جائز بشرط ابقاء المعطوف للدلالة عليه [٣٨] وسمى الزمخشري[٣٩] (الفاء) في حذف المعطوف عليه بـ (الفاء الفصيحة) وقال لا تقع إلاّ في كلام بليغ

٣. حذف المعطوف :

نحو: يصيحون (بابا) فيفطر قلب السماء [٤٠]

((وماذا جلبت لنا من هدية))

حينما يعود الأب المجاهد إلى بيته يستقبله أطفالهُ فينادونه ((بابا)) ثم يسألونه بعد النداء ((ماذا جلبت لنا من هدية)) فَحُذفت جملة ((يسألون)) المعطوفة على ((يصيحون)) وبقي العاطف فدخل على جملة متعلقة بـ ((يسألون)) المحذوفة . ولكن ابن هشام يوجب حذف العاطف مع المعطوف [٤١] أما أبن عقيل فكان أقل شدة في مسألة حذف العاطف مع المعطوف فقال: ((وقد تحذف الفاء مع معطوفها ... وكذلك الواو)) [٤٢]

ونحو : والشفاه ابتساماتُ حبٍ وخوف [٤٣]

عجائز أو في القبور

أي : عجائز أو موتى في القبور فحذف المعطوف (موتى) لدلالة متعلقة عليه (في القبور)

ونحو : ((أزهور)) أجمل أو ((سعاد)) بأي شيءٍ جارتاها [٤٤]

تتفوقان ؟

زهور وسعاد جارتا سليمة ((المومس العمياء)) فلما عميت ((سليمة)) راحَ عنها الزبائن إلى زهور وسعاد ولم يأتوا إليها فالشاعر هنا يسأل : أزهور أجمل أو سعاد أم سليمة، فالمحذوف حرف العطف ((أم)) والمعطوف (سليمة) . وحذف (أم) ومعطوفها وارد في اللغة العربية

قال الشاعر : دعاني إليها القلبُ إني لأمْرِهِ سَمِيعٌ فما أدري أرشدٌ طلابها

أي أم غيٌ [٤٥]

فلا يجوز أن نعطف بعد أفعل التفضيل إلاّ بـ (أم) فيقال : أزيدٌ أفضل أم عمرو ؟ لأنّ المعنى : أيهما أفضل ولو قيل أزيدٌ أفضلُ أو عمرو لم يجز لأنّ (أو) تُصير المعنى : أأحدهما أفضل ؟ وليس هذا بكلام [٤٦] . قال ابن السراج: ((وإذا قلت: أزيد أفضل أم عمرو؟ لا يجوز إلاّ بـ (أم) لأنّك تسأل عن أيهما أفضل ولو قلت: (أو) لم يصح لأن المعنى يصير: أأحدهما أفضل فليس هذا بكلام)) [٤٧] .

وفي ختام هذا البحث نرى أنّ ظاهرة الحذف في العطف لم تكن بدعاً عند السياب، وإنما وردت في القرآن وفي الشعر العربي وقد ذكرها النحاة في كتبهم ولكنها جاءت في شعر السياب بشكل واسع حتى شكلت ظاهرة في شعره. إذ استطاع الشاعر بوساطة هذا النوع من الحذف أن يضفي على شعره الغموض والابهام الذي كان يتقصده، كما استطاع الشاعر أن يفيد من هذه الظاهرة في إقامة الوزن والقافية . ولا يخفى أثر الأدب الغربي في شعر السياب ولاسيما في حذف حرف العطف في غير الصفات .

الهوامش

١. ينظر : اللسان ، مادة (حذف) : ٤٠/٩ ، وتاج العروس ، مادة (حذف) : ٦٦/٦
٢. ينظر : الخصائص : ٣٦٠/٢ ، والرد على النحاة : ٨٥ ، وشرح المفصل : ٩٤/١ ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ٣٣٧ – ٣٤١
٣. ينظر : مغني اللبيب : ٦٠٥/٢
٤. دلائل الإعجاز : ١١٢
٥. ينظر : مغنى اللبيب : ٦٣٥/٢
٦. ينظر : نفسه : ٦٣٥/٢ من هذه الروايات ما حكاه ابو زيد الانصاري قوله ((أكلتُ خبزا" تمرا")) فقيل حذف الواو ، وقيل على بدل الإضراب ، وحكى أبو الحسن ((أعطه درهما درهمين ثلاثة)) وخرج على إضمار أو ويحمل البدل المذكور ، وقد خرج على ذلك آيات عديدة .
٧. الديوان : ٣٤٨/١
٨. نفسه : ٤٦٧/١
٩. نفسه : ٣١٣/٢ ، وينظر أيضا" : ٣٥٠/٢ ، و ١٤٤/١ ، ٢٧٢ ، ٣٧٧ ، ٣٨٣
١٠. نفسه : ٣٨٧/١
١١. نفسه : ١/ ٤٣٥
١٢. نفسه : ٤٣٦/١
١٣. نفسه : ٣٨٥/١ ، وينظر أيضا" : ٧١/١
١٤. نفسه : ٢٨٨/١
١٥. نفسه :١١٤/١
١٦. نفسه : ٣٠٥/١
١٧. نفسه : ٤٨٤/١
١٨. نفسه : ١٩٠/١ ، وينظر أيضا" : ١٤٩/١ ، ٥٤٦
١٩. بدائع الفوائد : ٥٢/٣
٢٠. ينظر : مغني اللبيب : ٦٣٥/٢
٢١. ينظر : الفسر : ٢٨٠/٢
٢٢. ينظر : السياب : ٥٥
٢٣. نظرية الشعر عند الشعراء النقاد في الأدب الحديث : ٢٢١ ، والسياب : ١٧٣ والتركيب اللغوي لشعر السياب : ٤١
٢٤. أوضح المسائل : ٢٠٣
٢٥. الديوان : ٥٣٣/١
٢٦. ينظر : مغنى اللبيب : ٣٨/١ ، وشح ابن عقيل : ٨/٢
٢٧. الديوان : ٧٠٩/١
٢٨. نفسه : ٦٦٥/١ ، وينظر : ٥٥٢/١ ، ٦٢٢
٢٩. نفسه : ٣٢٦/١

٣٠. ينظر : شرح الاشموني : ٤١٨/٢
٣١. ينظر : نفسه : ٤١٨/٢
٣٢. ينظر : أوضح المسالك : ٢٠٣
٣٣. الديوان : ٤٠٤/١
٣٤. نفسه : ٤٩٩/٢
٣٥. شرح الاشموني : ٤٢٧/٢
٣٦. الديوان : ٨٠/١
٣٧. نفسه : ٤٣٢/٢
٣٨. ينظر : شرح التصريح : ١٥٤/٢-١٥٥
٣٩. ينظر : الكشاف : ١٤٤/١
٤٠. الديوان : ٢٤٠/١
٤١. ينظر : مغنى اللبيب : ٦٢٧/٢
٤٢. شرح ابن عقيل :٢٤٢/٢
٤٣. الديوان : ٢٠٦/١ – ٢٠٧
٤٤. نفسه : ١٣١/١
٤٥. ينظر : شرح الاشموني : ٤٣١/٢
٤٦. ينظر : الازهية : ١٤٣
٤٧. الاصول في النحو : ٢٢٤/٢

المصادر

١-الازهية في علم الحروف، الهروي (ت-٤١٥هـ) تـح: عبـد المعـين الملـوحي، مطبعـة الترقـي، دمشق/١٩٧١ .

٢- الاصول في النحو ،ابن السراج (ت-٣١٦هـ)، تح:د عبد الحسين الفتلـي، مطبعـة النعمـان-النجـف الاشرف/١٩٧٣ .

٣-أوضح المسالك الى الفية ابن مالك، ابن هشام الانصاري (ت-٧٦١م)،تح : عبد المتعال الصـعيدي ، دار العلوم الحديثة بيروت- لبنان/١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤- بدائع الفوائد ،ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٥-تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة -بيروت- لبنـان (د.ت)

٦- التركيب اللغوي لشعر السياب، د. خليل ابراهيم العطية، دار الشؤون الثقافية، دار الحرية للطباعة -بغداد ١٩٨٦م

٧- دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني ،تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي ،ط١،مكتبة القاهرة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م .

٨- ديوان بدر شاكر السياب (المجموعة الكاملة) المجلد الاول ،دار العودة بيروت /١٩٧١م، المجلد الثـاني، دار العودة بيروت /١٩٧٤م.

٩- الرد على النحاة ،ابن مضاء القرطبي ، تح:د.شوقي ضيف ، ط٢، دار المعارف – القاهرة /١٩٨٢م.
١٠- السياب، عبد الجبار عباس، منشورات وزارة الاعلام، مطبعة الجمهورية –بغداد /١٩٧٢م
١١- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تح:محمد محي الدين عبد الحميد الناشر دار الفكر، بيروت –بغداد (د.ت).
١٢-شرح الاشموني على ألفية ابن مالك، للاشموني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١١، دار الكتاب العربي ، بيروت –لبنان /١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
١٣- شرح التصريح على التوضيح ،خالد بن عبد الله الازهري (ت-٩٠٥ه)دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (د.ت)
١٤-شرح المفصل ،ابن يعيش النحوي (ت-٦٤٣ه)،عالم الكتب بيروت ،مكتبة المتنبي –القاهرة(د.ت)
١٥-علم اللغة – مقدمة للقاريء العربي ،د.محمود السعران ،دار المعارف مصر ١٩٦٢م
الفكر اللبناني –بيروت /١٩٨٤م
١٦- الفسر (شرح ديوان المتنبي)،ابو الفتح عثمان بن جني، تح: د.صفاء خلوصي ، ط١، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد /١٩٨٨م
١٧-الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي –بيروت –لبنان (د-ت)
١٨-لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن منظور المصري ، دار صادر –بيروت
١٩-مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الانصاري تح: محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة المدني المصرية (د.ت).
٢٠- نظرية الشعر عند الشعراء النقاد في الادب الحديث من خليل مطران الى بدر شاكر السياب (دراسة مقارنة)منيف موسى ط١.